فهـــرس الـعـــدد

الدراســات التاريخيــة

القديم : التمـوسع الرومانى نحـو الجنـوب الجزائرى وآثاره الاقتصادية والاجتماعية — **شنيتى محمد بشـير** — 2

الوسيط : مصادر ثورة ابن يزيد مخلد بن كيداد — **د. احســان عبــاس** — 25

الحركة الاباضية فى تاهرت وسدراتة وغرداية — **د. محمد بلغــراد** — 43

من قضايا التاريخ الرستمى — **د. لقبــال موسى** — 51

الحديث : مدينة ورقلة فى رحلة العياشى — **د. مولاى بلحميسى** — 60

ورقلة ومنطقتها فى العهد العثمانى — **د. ناصر الدين سعيدونى** — 71

الوضع فى منطقة ورقلة قبل الاحتلال الفرنسى — **د. عبد الحميد زوزو** — 96

المعاصر : نماذج من مقاومة سكان الواحات — **د٠ يحيى بوعـزيز** — 117

الــدراسات الاقتصــادية

ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائرى — **د. عبد القادر زبــادية** — 141

تطور ناحية ورقلة ما بين 1962 ــ 1975 — **جلــول مكــى** — 147

التـــراجـم

أبو يعقوب يوسف الورجلانى وكتابه الدليل والبرهان — **عبد الرحمن الجيلالى** — 162

أبو عمار الكافى والنسق الكلامى — **د. عمــار الطالبى** — 172

الــدراسات الحضــارية

الفن الرستمى بتاهرت وسدراته — **د. رشيد بورويبة** — 180

لمحات من دور الدولة الرستمية فى ميادين الحضــارة والفكر لبعض الباحثين القدامى والمتأخرين — **المهــدى البوعبدلى** — 193

ورقلــة من خــلال النصــوص — **د٠ مولاى بلحميسى** — 207

القســم الفــرنسى

ورقلــة من خــلال النصــوص — **د٠ مولاى بلحميسى** — 1

ورقلة
عروس مدائن الجنوب الجزائري

د. عبد القادر زبادية
معهد العلوم الاجتماعية ـ دائرة التاريخ
جامعة الجزائر

لعبت الصحراء الافريقية الكبرى فى التاريخ الحضارى لشعوب افريقيا الغربية جنوب الصحراء ما لم يلعبه المحيط الاطلسى من الادوار الحضارية الهامة ؛ فقد كانت مسارب الصحراء الى غربى أفريقيا بمثابة مسالك تعبر من خلالها حضارة البحر الابيض المتوسط والحضارة الاسلامية ، وهذا حتى نهاية القرن التاسع عشر حينما بدأ الاحتلال الاوروبى فى تلك المنطقة . (1)

لقد اتصلت قبائل السودان الغربى منذ القديم مع سكان الشمال الافريقى ، ولم تكن الصحراء لتشكل فى يوم من الايام عائقا يحول دون ذلك الاتصال الحضارى المثمر الذى استفادت منه شعوب هاتين المنطقتين الواسعتين من أفريقيا . وكانت الاسس الاولى المباشرة لهذا الاتصال هى التجارة وتبادل المنتوجات والبضائع ، وعن طريق ذلك انتقلت المؤثرات الحضارية أو التحضرية بشكل واسع . (2)

(1) قارن Cissoco : Histoire de l'Afrique Occidentale, Paris, 1968.

(2) راجع ؛ جمال زكريا قاسم ـ الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ـ القاهرة ، 1975 .

وباستثناء تلك الحملة العسكرية الطائشة التى أوفدها المنصور الذهبى سلطان المغرب فى القرن السادس عشر الى السودان الغربى بقصد التوسع والاستغلال ، فقد ظل التبادل التجارى والثقافى يشكلان العنصر الاساسى والوحيد للتبادل الحضارى المثمر بين شمال الصحراء وجنوبها · (3) وكنتيجة لهذا التبادل الطويل الامد رأت المدن الصحراوية الواقعة على طريق القوافل التجارية ازدهارا كبيرا ، وأصبحت بمثابة عواصم ثقافية وسياسية هامة ، تتمتع بعلاقات خاصة مع ممالك السودان الغربى وتلعب دور الوسيط بينها وبين مدن الشمال · (4)

وبالنظر لاهمية هذا التبادل وخاصة بالنسبة لممالك السودان الغربى فقد حرص أمراء الجنوب باستمرار على توفير الجو الامنى والاحترام المناسب لرجالات القوافل الشمالية ، وهذا مما دفع الحسن الوزانى المعروف بـ (ليون الافريقى) لدى الغربيين، الى الاشادة بطيبعة السودانيين وتقديرهم للغرباء ، وذلك بالرغم من أنه فى موضع آخر من مذكراته يذهب الى وصف سكان تلك المناطق بالغباوة والطيش وقلة الذوق كما بدوا له · (5)

تكاد تجمع آراء الباحثين على أن الطرق أو المسالك (على حد تعبير البكرى ، القرن 11 م) الكبرى التى كانت تتبعها القوافل الذاهبة والعائدة الى ومن السودان الغربى هى :

1) من سجلماسة ؛ ينطلق طريق الى والاتا ومنها الى تمبكتو وجنى وغاو ·

2) تلمسان ؛ يمر هذا الطريق بغرداية وتوات وينتهى الى تمبكتو ·

3) تكرت وورقلة ؛ ينطلق طريق آخر الى غاو مباشرة ، وهذا المسلك يتصل شمالا

---

(3) لقد كان مجلس العلماء من حول الملك ضد هذه الحملة ، ولكن المنصور أصر على رأيه معللا ذلك بأسباب داعية وأخرى مساعدة ، وقد فشلت الحملة فى جميع اهدافها ماعدا الجانب الوحشى منها ان صح هذا التعبير ، راجع اليفرانى ، نزهة الحادى ، فاس ، د·ت ، ص 76 ·

(4) راجع بصورة خاصة : E. W. Bovill : The golden trade, Oxford, 1970

(5) راجع بصورة خاصة ·

Léon l'Africain, Paris 1896, V. 1, p. 53.

ببضائع الموانىء الجزائرية الهامة مثل جزائر بنى مزغنة (الجزائر العاصمة) وبجاية وسكيكدة ومستغانم وغيرها ٠

4) من واحة الجريد فى جنوب تونس ؛ ينطلق طريق آخر غالبا ما كانت تمر قوافله بورقلة ووادى سوف أو بغدامس فى بعض الاحيان ٠

5) من طرابلس الغرب ؛ كان ينطلق طريق آخر يمر بغدامس ، ويمر فرع منه بفزان ثم ينتهى كل من الفرعين اما الى بورنو أو الى غاو ٠

6) وينطلق من مصر طريق يمر بواحة سيوه وتادمكت (مكة الجديدة) ثم ينتهى الى غاو وتمبكتو ٠ (6)

(6) راجع بصورة خاصة :

(6) W. Fage : Introduction to the history of W. Africa, Cambridge, 1955.

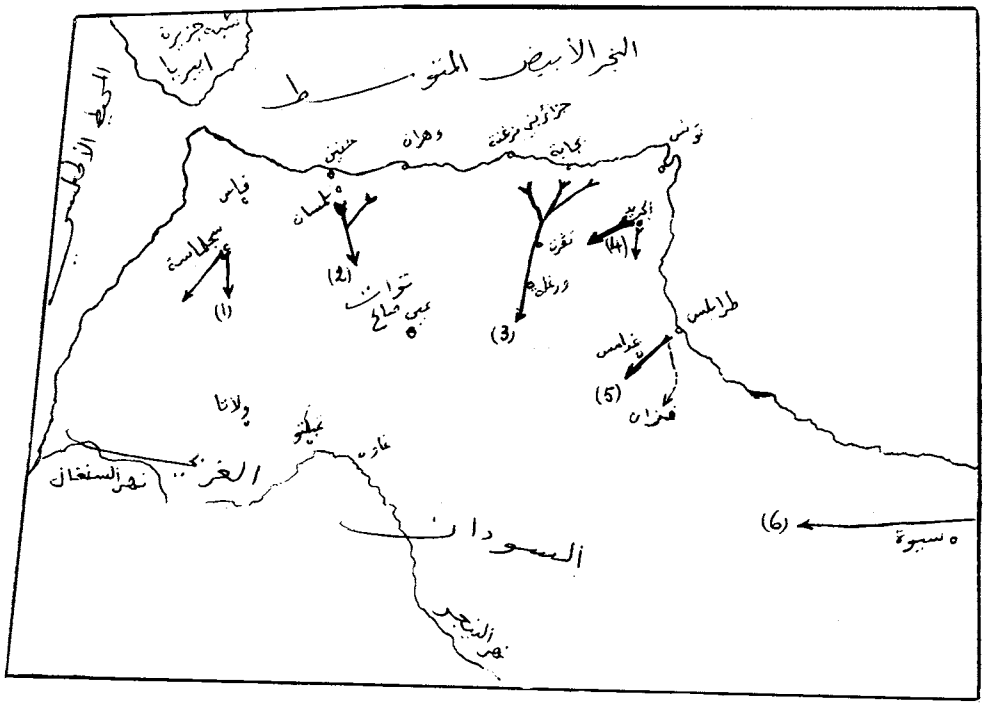

وكما هو موضح على الخريطة ، فان مدينة ورغلة ونواحيها كانت بمثابة نقطة تجمع وانطلاق لاحدى الطرق التجارية الهامة عبر الصحراء ، وخاصة تلك التى تسلكها بضائع موانىء الجزائر الشرقية والوسطى وتونس · ولا توجد لدينا تقديرات دقيقة عن حجم القوافل التى كانت تسلك هذا الطريق ، غير أن العلامة ابن خلدون قد يقربنا من تخمين لذلك ، حينما يشير الى أن القوافل التى كانت تمر على أيامه (أواخر القرن الرابع عشر) بالهقار كان عدد جمالها يبلغ أثنى عشر ألف جمل فى أحيان كثيرة (7) · وواضح أن الهقار يقع ضمن مشمولات هذا الطريق · ويشير ابن خلدون من ناحية أخرى الى أن هذه القوافل التجارية كانت تنظم الى السودان من مختلف التلول والامصار ، وأن التجارة مع السودان كانت عامة فى المغرب على أيامه ، بحيث يشترك فيها سكان البوادى وسكان المدن على السواء (8) ، وهذا مما يؤكد الحقيقة المشار اليها آنفا حول ورقلة وأنها كانت بمثابة تجمع وانطلاق لتجارة امصار ومناطق وموانىء كثيرة ، تشمل جهات عديدة فى وسط الجزائر وشرقها وتونس أيضا ·

ومن التطورات التى رآها هذا الطريق ؛ طريق ورقلة التجارى الهام بين الشمال والجنوب ، هو ما احتوته رسالة سلطان بورنو التى أرسلها فى سنة 1440 م · الى علماء توات ، يشتكى لهم فيها من أن التجار لم يعودوا يقصدون بلاده بأعداد كثيرة كما كانوا يفعلون فى السابق · وان الحقيقة من وراء هذه الشكوى لا تتمثل أبدا فى أن تلك الفترة كانت فترة تدهور فى التبادل التجارى الحضارى على هذا الطريق ، وانما صادف فى هذه الفترة أن جالية يهودية سيطرت على مرافق التجارة فى توات ، وهذا ما دفع الطوارق الذين تقع بلادهم بين توات وبورنو الى العمل على عدم السماح لتلك التجارة التى كان من ورائها اليهود من المرور بأراضيهم · (9)

لقد ساهمت القوافل على جلب البضائع المتنوعة الى ومن السودان الغربى ، ولم تختلف القوافل التى تسلك طريق ورقلة عن غيرها فى هذا الشأن ، سوى ما يختص

---

(7) عبد الرحمان بن خلدون ، التاريخ ، بيروت 1959 ، جزء 6 ، ص 405 ·

(8) المصدر نفسه ، جزء 7 ، ص 119 ·

(9) R. Mauny : Le Judaisme, 1949, p. 360.

القاضى محمود كعت من الاشارة اليه ؛ وذلك فيما يتعلق بالتمور الواردة عن طريق ورقلة والتى أخذت شهرة كبيرة فى أسواق تمبكتو بصورة خاصة ، حيث كانت تباع فى أحيان كثيرة بطريقة العد لجودتها (أربعة أو عشرة) لا بطريقة الكيل أو الوزن (10)، ويتفق الباحثون على أن البضائع التى كان يجرى تداولها بصورة عامة ، ربما كان من أهمهـــا :

1 ــ من الشمال أوانى النحاس ، المصنوعات الحديدية ، المصنوعات الزجاجية ، المقتطعات المرجانية ، العطور ، التمور ، التين المجفف ، المنسوجات القطنية والحريرية ، القمح ، الملح ، الكتب ، الجلود المدبوغة ، الاصبغة المختلفة ، الحلى والخيول ·

2 ــ من الجنوب : الذهب ، ريش النعام ، العبيد ، التوابل ، والجلود غير المصنوعة والعـــاج · (11)

لقد كانت هذه البضائع من الاهمية الحضارية والانسانية بحيث كان ينتج عـــن تواردها أو تبادلها :

1 ــ تنشيط التجارة الداخلية ·

2 ــ تغذية الجبايات الحكومية ·

3 ــ المساهمة فى توفير مجالات للتشغيل ·

4 ــ ترقية الذوق فى الإستهلاك والاستعمال ، ويدل على ذلك أن توقف توارد القوافل المحملة بالبضائع كان ينتج عنه ارتباك فى حياة السكان فى مدن السودان الغربى (12) · ولعل الاهم من هذا كله هو توارد الكتب وتنقل العلماء الذين كانوا يساهمون المساهمة الفعالة فى ترقية مجالات الاتصال الانسانى عن طريق القوافل التجارية ،وهذا ما أدى الى دخول السودان الغربى منذ وقت مبكر وخاصة بالنسبـة

(10) محمود كعت ــ تاريخ الفتاش ، تحقيق هوداس ، باريس 1964 ، ص 319 · عبد القادر زبادية ، مملكة سنغاى فى عهد الاسيقيين ، الجزائر 1972 ، الفصل الخاص بالتجارة الخارجية ·

(11) Cf. E. W. Bovill, op. cit., 236 FF.

(12) راجع : تذكرة النسيان فى أنساب ملوك السودان ، لمؤلف مجهول ، باريس مخطوط ، صفحات 73 ــ 74 ــ 100 ·

للتاريخ الاسلامى الى الدخول فى حيز الحضارة قبل غيره من أجزاء افريقية أخرى ، فعرفه العالم وتبادل معه ، ويكفى مدينة ورقلة فخرا أنها كانت احدى المدن الجزائرية الهامة التى ساهمت بدورها فى هذا الجانب الحضارى والانسانى العظيم ٠

وبالنظر لذلك التلاحم الحاصل من الاتصال الحضارى على الصورة التى شرحنا جانبا منها حتى الآن ، فقد كان لاعتداء الفرنسيين على ورقلة سنة 1854 أثره السيء على نفوس السكان فى تمبكتو ، وقرر زعيمها الشيخ سيدى أحمد البكاى الكنتى استنفار جميع أنصاره فى المنطقة للهجوم على الفرنسيين عندما اعتدوا على ورقلة فى تلك السنة الا أن الدكتور بارث الالمانى الذى صادف أن كان فى حماية البكاى آنذاك ، وكان أول أوروبى يدخل تمبكتو علنا ويخرج منها سالما بفضل حماية البكاى له ، عمل الكثير الثنى الشيخ البكاى عما عزم عليه ، ونجح فى مسعاه ٠ (13)

وبمجرد احتلال الفرنسيين للجنوب الجزائرى عملوا بمختلف الوسائل على قطع صلاته بالسودان ، ثم احتلوا السودان فى آخر القرن فتم لهم كل ما أرادوا ، وفى سنة 1911 صدر مرسوم منع استعمال العربية فى السودان الغربى نهائيا ، ويعتبر كل ذلك جوهر السياسية الفرنسية للقضاء على الصلات الحضارية بين الشمال والجنوب حينما أصبح الفرنسيون يحتلونهما معا ٠

(13) H. Barth, Travels...., London 1867-68, v, p. 123.